[٢/٩٥٨ظ] **تفسيرُ سورةِ الصفّ**

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

يقولُ جلَّ ثناؤُه : سبَّحَ للهِ ما فى السماواتِ السبعِ ، وما فى الأرضِ من الخلقِ ، مُذْعِنين له بالأُلوهةِ والربوبيةِ ، وهو العزيزُ فى نقمتِه ممن عصاه منهم ، فكفَر به ، وخالَف أمرَه ، الحكيمُ فى تدبيرِه إياهم .

وقولُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : يأيُّها الذين[1] صدَّقوا اللَّهَ ورسولَه ، لمَ تَقُولون القولَ الذى لا تُصَدِّقونه بالعملِ ؟ فأعمالُكم مخالفةٌ أقوالَكم ، ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . يقولُ : عظُم مقتًا عندَ ربِّكم قولُكم ما لا تَفْعَلون .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى السببِ الذى من أجلِه أُنْزِلت هذه الآيةُ ؛ **فقال بعضُهم** : أُنْزِلت توبيخًا مِن اللَّهِ لقومٍ من المؤمنين ، تمنَّوْا معرفةَ أفضلِ الأعمالِ ، فعرَّفهم اللَّهُ إياه ، فلمَّا عرَفوا قصَّروا ، فعُوتِبوا بهذه الآيةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . قال : كان ناسٌ مِن المؤمنين قبلَ أن يُفْرَضَ الجهادُ يقولون : / لَوَدِدْنا أن اللَّهَ دلَّنا على أحبِّ الأعمالِ إليه ٨٤/٢٨

(١) بعده فى ص ، م : « آمنوا » .

فنَعْمَلُ به . فأخْبَر اللَّهُ نبيَّه أن أحبَّ الأعمالِ إليه إيمانٌ باللَّهِ لا شكَّ فيه ، وجهادُ أهلِ معصيتِه الذين خالَفوا الإيمانَ ولم يُقِرُّوا به ، فلما نزَل الجهادُ كرِه ذلك أناسٌ من المؤمنين ، وشقَّ عليهم أمرُه ، فقال اللَّهُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (١) .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ . قال : كان قومٌ يقولون : واللَّهِ لو أنا نَعْلَمُ ما أحَبُّ الأعمالِ إلى اللَّهِ لعَمِلْناه . فأنْزَل اللَّهُ على نبيِّه ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف : ٤] . فدلَّهم على أحبِّ الأعمالِ إليه (٢) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا مِهْرانُ ، عن سفيانَ ، عن محمدِ بنِ جُحَادةَ ، عن أبى صالحٍ ، قال : قالوا : لو كنا نَعْلَمُ أىُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللَّهِ وأفضلُ ؟ فنزَلَت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الصف : ١٠] . فكرِهوا ، فنزَلَت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (٣) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ مَّرۡصُوصٞ ﴾ . فيما بيـنَ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٢/٨ عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١٢/٦ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١٣/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن المبارك فى الجهاد (٢) عن سفيان به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١٣/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ذلك : فى نفرٍ مِن الأنصارِ ، فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، قالوا فى مجلسٍ : لو نَعْلَمُ أىُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللَّهِ لَعمِلْنا بها حتى نموتَ . فأنْزَل اللَّهُ هذا فيهم ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ : لا أزالُ حَبيسًا فى سبيلِ اللَّهِ حتى أموتَ . فقُتِل شهيدًا[1] .

وقال آخرون : بل نزَلَت هذه الآيةُ فى توبيخِ قومٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، كان أحدُهم يَفْتَخِرُ بالفعلِ مِن أفعالِ الخيرِ التى لم يَفْعَلْها ، فيقولُ : فعَلْتُ كذا وفعلتُ[2] كذا . فعذَلهم اللَّهُ على افتخارِهم بما لم يَفْعَلوا كذبًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . قال : بلَغَنى أنها كانت فى الجهادِ ، كان الرجلُ يقولُ : قاتَلْتُ وفعَلْتُ . ولم يَكُنْ فعَل ، فوعَظَهم اللَّهُ فى ذلك أشدَّ الموعظةِ[3] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ : يُؤْذِنُهم[4] ويُعْلِمُهم كما تَسْمَعون ، ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . وكانت رجالٌ تُخْبِرُ فى القتالِ بشىءٍ لم يَفْعَلوه ولم يَبْلُغوه ، فوعَظَهم اللَّهُ فى ذلك موعظةً بليغةً ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعْتُ أبا معاذٍ يقولُ : [٢/٩٥٩و] ثنا عبيدٌ ، قال :

---

(١) تفسير مجاهد ص ٦٥٨ ، وأخرجه عبد الله بن المبارك فى الجهاد (٣) - ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨/٩٠ - من طريق ابن جريج ، عن مجاهد نحوه .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٩٠ عن معمر به .

(٤) فى ت ٢ ، ت ٣ : « يوعظهم » .

سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : /﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ : أنْزَل اللَّهُ هذا ٨٥/٢٨
فى الرجلِ يقولُ فى القتالِ ما لم يَفْعَلْه مِن الضربِ والطعنِ والقتلِ ، قال اللَّهُ : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] .

وقال آخرون : بل هذا توبيخٌ مِن اللَّهِ لقومٍ مِن المنافقين ، كانوا يَعِدُون المؤمنين النصرَ ، وهم كاذِبون .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ : يقولون للنبىِّ ﷺ وأصحابِه : لو خرَجْتُم خرَجْنا معكم ، وكنا فى نصرِكم ، وفى ، وفى . فأخْبَرهم أنه ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] .

وأولى هذه الأقوالِ بتأويلِ الآيةِ قولُ مَن قال : عُنِى بها الذين قالوا : لو عرَفْنا أحبَّ الأعمالِ إلى اللَّهِ لعمِلْنا به . ثم قصَّروا فى العملِ بعدَ ما عرَفوا .

وإنما قلتُ : هذا القولُ أولى بها ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه خاطَب بها المؤمنين ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ . ولو كانت نزَلَت فى المنافقين لم يُسَمَّوْا ولم يُوصَفوا بالإيمانِ ، ولو كانوا وصَفوا أنفسَهم بفعلِ ما لم يكونوا فعَلوه ، كانوا قد تعَمَّدوا قِيلَ الكذبِ ، ولم يكنْ ذلك صفةَ القومِ ، ولكنهم عندى أمَّلوا بقولِهم : لو علِمْنا أحبَّ الأعمالِ إلى اللَّهِ عمِلْناه . أنهم لو علِموا بذلك عمِلوه ، فلمَّا علِموا ضعُفَت قُوَى قومٍ منهم عن القيامِ بما أمَّلوا القيامَ به قبلَ العلمِ ، وقَوِى آخرون فقاموا به ، وكان لهم الفضلُ والشرفُ .

---

(١) ذكره البغوى فى تفسيره ٨/ ١٠٨ ، وابن كثير فى تفسيره ٨/ ١٣٢ . (تفسير الطبرى ٢٢/٣٩)

واختَلَف أهلُ العربيةِ فى معنى ذلك ، وفى وجهِ نصبِ قولِه : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويى البصرةِ : قال : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . أى : كبُر مقتُكم مقتًا . ثم قال : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . أى[1] : قولُكم .

وقال بعضُ نحويى الكوفةِ[2] : قولُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . كان المسلمون يقولون : لو نَعلمُ أىُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ لأتيناه ولو ذهَبت فيه أنفسُنا وأموالُنا . فلما كان يومُ أحدٍ نزَلوا عن النبىِّ ﷺ حتى شُجَّ وكُسِرَت رَباعِيَتُه ، فقال : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . ثم قال : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ : كبرُ ذلك مقتًا . أى : فـ « أن » فى موضعِ رفعٍ ؛ لأن ﴿ كَبُرَ ﴾ . كقولِه : بئس رجلًا أخوك . وقولُه : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [غافر : ٣٥] . أُضْمِر فى ﴿ كَبُرَ ﴾ اسمٌ يكونُ مرفوعًا .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندى أن قولَه : ﴿ مَقْتًا ﴾ . منصوبٌ على التفسيرِ ؛ كقولِ القائلِ : كبرُ قولًا هذا القولُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

٨٦/٢٨ يقولُ تعالى ذكرُه للقائلين : لو علِمْنا أحبَّ الأعمالِ إلى اللَّهِ لعمِلْناه حتى نموتَ : إنَّ اللهَ أيُّها القومُ / ﴿ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا[3] ﴾ . يعنى : فى طريقِه ودينِه الذى دعا إليه ، ﴿ صَفًّا ﴾ . يعنى بذلك أنهم يُقاتِلون أعداءَ

(١) فى م ، ت ٢ : « أذى » .

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ٣/ ١٥٣ .

(٣) فى م : « كأنهم » .

اللَّهِ مُصْطَفِّين .

وقولُه : ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ . يقولُ : يُقاتِلون فى سبيلِ اللَّهِ صفًّا مُصْطَفًّا ، كأنهم فى اصطفافِهم هنالك حِيطانٌ مبنيةٌ ، قد رُصَّ ، فأُحْكِم وأُتْقِن ، فلا يُغادِرُ منه شيئًا . وكان بعضُهم يقولُ : بُنِى بالرَّصاصِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ : ألم تَرَ إلى صاحبِ البُنيانِ كيف لا يُحِبُّ أن يَخْتَلِفَ بنيانُه ، كذلك تَبارَك وتعالى لا يَخْتَلِفُ أمرُه ، وإن اللَّهَ وصَف المؤمنين فى قتالِهم وصْفَهم فى صلاتِهم ، فعليكم بأمرِ اللَّهِ ، فإنه عِصْمةٌ لمن أخَذ به[1] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ . قال : والذين صدَّقوا قولَهم بأعمالِهم ، هؤلاء . قال : وهؤلاء لم يُصَدِّقوا قولَهم بالأعمالِ ؛ لمَّا خرَج النبىُّ ﷺ نكَصوا عنه وتخَلَّفوا .

وكان بعضُ أهلِ العلمِ يقولُ : إنما قال اللَّهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ . ليدلَّ على أن القتالَ راجلًا أحبُّ إليه مِن القتالِ فارسًا ؛ لأن الفُرسانَ لا يَصْطَفُّون ، وإنما يَصْطَفُّ[2] الرَّجَّالةُ .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٨/ ١٣٤، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢١٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى م ، ت ١ : « تصطف » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى سعيدُ بنُ عمرٍو السَّكُونىُّ ، قال : ثنا بقيةُ بنُ الوليدِ ، عن أبى بكرِ بنِ أبى مريمَ ، عن يحيى بنِ جابرٍ الطائىِّ ، عن أبى بَحْريةَ ، قال : كانوا يَكْرَهون القتالَ على الخيلِ ، ويَسْتَحِبُّون القتالَ على الأرضِ ، لقولِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ . قال : وكان أبو بَحْريةَ يقولُ : إذا رأَيْتُمونى الْتَفَتُّ فى الصفِّ ، فجَثُوا[1] فى لَحْيى[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٢/٩٥٩ظ] يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : واذْكُرْ يا محمدُ إذ قال موسى ابنُ عِمْرانَ لقومِه : يا قومِ لم تُؤْذوننى وقد تَعْلمون حقًّا ، أنى رسولُ اللهِ إليكم .

وقولُه : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ ﴾ . يقولُ : فلمَّا عدَلوا وجارُوا عن قصدِ السبيلِ ، ﴿ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ . يقولُ : أمال اللَّهُ قلوبَهم عنه .

وقد **حدَّثنى** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبَرنا العَوَّامُ ، قال : ثنا أبو غالبٍ ، عن / أبى أُمامةَ فى قولِه : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ . قال : هم الخوارجُ[3] . ٨٧/٢٨

---

(١) جَثُوا : من : وَجأ فلانا وَجْئًا ووِجاءً : دفعه بجُمْع كفه فى الصدر أو العنق . الوسيط (و ج أ) .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٤/٨ عن المصنف .

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد فى السنة (١٥٣٥) ، والخلال فى السنة (١٣٨) من طريق هشيم به .

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ لا يُوَفِّقُ لإصابةِ الحقِّ القومَ الذين اختاروا الكفرَ على الإيمانِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : واذْكُرْ أيضًا يا محمدُ إذ قال عيسى ابنُ مريمَ لقومِه مِن بنى إسرائيلَ : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ التى أُنْزِلَت على موسى ، ﴿ وَمُبَشِّرًۢا ﴾ أُبَشِّرُكم ﴿ بِرَسُولٍ ﴾ للهِ[1] ﴿ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن سعيدِ بنِ سُوَيْدٍ ، عن عبدِ الأعلى بنِ هلالٍ السُّلَمىِّ ، عن عِرْباضِ بنِ ساريةَ ، قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إنى عندَ اللَّهِ مكتوبٌ لخاتَمُ النبيين وإن آدمَ لَمُنْجَدِلٌ فى طِينتِه ، وسأُخْبِرُكم بأولِ ذلك ؛ دعوةُ أبى إبراهيمَ ، وبِشارةُ عيسى بى ، والرُّؤيا التى رأَت أمى - وكذلك أمهاتُ النَّبيين يَرَيْن - إنها رأَت حينَ وضَعَتْنى أنه خرَج منها نورٌ أضاءت منه قصورُ الشامِ »[2] .

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ يقولُ : فلما جاءهم أحمدُ بالبيناتِ ، وهى الدلالاتُ التى آتاه اللَّهُ حججًا على نبوتِه ، (قالُوا هَٰذَا ساحرٌ[3] مُبِينٌ) يقولُ : يُبِينُ[1] ما أتَى به

---

(١) سقط من : م .

(٢) تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٧٣، ٥٧٤.

(٣) فى م : « سحر » . وهما قراءتان كما تقدم فى ٩/ ١١٥ ، ١١٦ .

غيرَ أنه[١] ساحرٌ[٢] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومَن أشدُّ ظلمًا وعُدوانًا ممن اختلَق على اللَّهِ الكذبَ ، وهو قولُ قائلِهم للنبىِّ ﷺ : هو ساحرٌ وما[٣] جاء به سحرٌ . فكذلك افتراؤُه على اللَّهِ الكذبَ ﴿ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ ﴾ . يقولُ : إذا دُعِى إلى الدخولِ فى الإسلامِ قال على اللَّهِ الكذبَ ، وافْتَرَى عليه الباطلَ ، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ لا يُوَفِّقُ القومَ الذين ظلَموا أنفسَهم بكفرِهم به لإصابةِ الحقِّ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

٨٨/٢٨ / يقولُ تعالى ذكرُه : يريدُ هؤلاء القائلون لمحمدٍ ﷺ : هذا ساحرٌ مبينٌ . ﴿ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ . يقولُ : يُريدون ليُبْطلوا الحقَّ الذى بعَث اللهُ به محمدًا ﷺ بأفواهِهم . يعنى بقولِهم : إنه ساحرٌ وما جاء به سحرٌ . ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ مُعْلِنٌ الحقَّ ، ومظهرٌ دينَه ، وناصرٌ محمدًا ﷺ على مَن عاداه ، فذلك إتمامُ نورِه . وعُنِى بالنورِ فى هذا الموضعِ الإسلامُ .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ : عُنِى به القرآنُ .

حدَّثنى يونُس ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ . قال : نورَ القرآنِ .

---

(١) فى م : « أننى » .

(٢) المعنى : يبين أنه لم يأتِ بما أتى به إلا لأنه ساحر . فـ«ما» نافية وليست موصولة .

(٣) فى م : « لما » .

واختلَفتِ القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾ ؛ فقرَأتْه عامةُ قرأةِ المدينةِ والبصرةِ وبعضُ الكوفيِّين : (مُتِمٌّ) بالتنوين[(١)] (نُورَهُ) بالنصبِ[(٢)] . وقرَأه بعضُ قرأةِ مكةَ وعامةُ قرأةِ الكوفةِ ﴿ مُتِمُّ ﴾ بغيرِ تنوينٍ ﴿ نُورِهِۦ ﴾ خفضًا[(٣)] . وهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيَّتِهما قرَأ القارئُ فمصيبٌ عندَنا .

وقولُه : ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ . يقولُ : واللهُ مظْهِرٌ دينَه ، وناصرٌ رسولَه ، ولو كرِه الكافرون باللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : اللهُ الذى أرسَل رسولَه محمدًا ﴿ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ . يعنى : ببيانِ الحقِّ ، ﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ . يعنى : وبدينِ اللهِ ، وهو الإسلامُ .

[٢/ ٩٦٠و] وقولُه : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ . يقولُ : ليُظهِرَ دينَه الحقَّ الذى أرسَل به رسولَه على كلِّ دينٍ سِواه ؛ وذلك عندَ نزولَ عيسى ابنِ مريمَ ، وحينَ تصِيرُ المِلَّةُ واحدةً ، فلا يكونُ دينٌ غيرُ الإسلامِ .

كما **حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا مِهْرانُ ، عن سفيانَ ، عن أبى المقدامِ ثابتِ بنِ هُرْمُزَ ، عن أبى هريرةَ : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ . قال : خروجُ عيسى ابنِ مريمَ[(٤)] .

وقد ذكَرْنا اختلافَ المختلفِين فى معنى قولِه : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ . والصوابَ لدينا مِن القولِ فى ذلك بعللِه فيما مضَى ، بما أغنى عن إعادتِه فى هذا

---

(١) سقط من : م .

(٢) وهى قراءة نافع وأبى بكر وابن عامر وأبى جعفر ويعقوب . ينظر النشر ٢/ ٢٨٩ .

(٣) وبها قرأ ابن كثير وحفص وحمزة والكسائى وخلف . المصدر السابق .

(٤) تقدم تخريجه فى ١١/ ٤٢٣ .

الموضعِ[(١)] .

وقد **حدَّثنى**[(٢)] عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا الأسودُ بنُ العلاءِ ، عن أبى سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عائشةَ قالت : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « لا يَذْهبُ الليلُ والنهارُ حتى تُعبدَ اللَّاتُ والعُزَّى » . فقالت عائشةُ : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ إن كنتُ لأظنُّ حينَ أنزَل اللَّهُ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ الآية . أنَّ ذلك سيكونُ تامًّا . فقال : « إنه سيكونُ مِن ذلك ما شاء اللَّهُ ، ثم يَبْعثُ اللَّهُ ريحًا طيبةً ، فيتوفَّى مَن كان فى قلْبِه مثقالُ حبةٍ مِن خَرْدلٍ مِن خيرٍ ، فيَبْقى مَن لا خيرَ فيه ، فيَرْجِعُون إلى دينِ آبائِهم »[(٣)] .

٨٩/٢٨ / **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : يأيُّها الذين آمنوا باللهِ ، هل أدُلُّكم على تجارةٍ تنجكيم من عذابٍ موجِعٍ ؟ موجِعٍ ، وذلك عذابُ جَهنَّمَ . ثم بين لنا جلَّ ثناؤه ما تلك التجارةُ التى تُنجِينا من العذابِ الأليمِ ، فقال : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ محمدٍ ﷺ .

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ . وقد قيل لهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١١/ ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) سقط من الإسناد شيخ المصنف وشيخ شيخه ، فقد تقدم فى ١٤/ ١٢٢ : حدثنا أبو كريب ، قال ثنا أبو أسامة ، عن عبد الحميد بن جعفر . وفى ١٥/ ٢٥ : حدثنى موسى بن عبد الرحمن ، ثنا أبو أسامة ، عن عبد الحميد بن جعفر . وفى ١٨/ ٤١٣ : حدثنا أبو هشام الرفاعى ، ثنا أبو أسامة ، ثنى عبد الحميد بن جعفر .

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠٧) ، وأبو يعلى (٤٥٦٤) ، والحاكم ٤/ ٤٤٦، ٤٤٩، وأبو عمرو الدانى فى الفتن (٤٢٦) ، والبيهقى ٩/ ١٨١ من طريق عبد الحميد بن جعفر به .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ . فوَصَفهم[١] بالإيمانِ ؟ فإن الجوابَ فى ذلك نظيرُ جوابِنا فى قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾ [النساء : ١٣٦] . وقد مضَى البيانُ عن ذلك فى موضِعِه بما أغنَى عن إعادتِه[٢] .

وقولُه : ﴿ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وتجاهدون فى دينِ اللَّهِ وطريقِه الذى شَرَعه لكم ، بأموالِكم وأنفسِكم ، ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . يقولُ : إيمانُكم باللَّهِ ورسولِه وجهادُكم فى سبيلِ اللَّهِ بأموالِكم وأنفسِكم ، خيرٌ لكم من تضييعِ ذلك والتفريطِ ، ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ مضارَّ الأشياءِ ومنافعَها .

وذُكِر أن ذلك فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (آمِنُوا باللهِ) على وجْهِ الأمرِ[٣] .

وبُيِّنتِ التجارةُ من قولِه : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم ﴾ . وفُسِّرت بقولِه : ﴿ تُؤْمِنُونَ ﴾ . ولم يقلْ : أن تُؤْمِنوا . لأن العربَ إذا فَسَّرت الاسمَ بفعلٍ ، تُثبِتُ فى تفسيرِه « أنْ » أحيانًا ، وتَطْرَحُها أحيانًا ؛ فتقولُ للرجلِ : هل لك فى خيرٍ ، تَقُومُ بنا إلى فلانٍ فنعودَه ؟ هل لك فى خيرٍ ، أن تقومَ إلى فلانٍ فنعودَه ؟ بـ« أن » وبطرحِها . ومما جاء فى الوجهين على الوجهين جميعًا قولُه : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا ﴾ ، و (إنَّا) [عبس : ٢٤، ٢٥] . فالفتحُ فى « أنّا » لغةُ مَن أدخَل فى « تَقُومَ » : « أن » ، مِن قولِهم : هل لك فى خيرٍ أن تقومَ ؟ والكسرُ فيها لغةُ من يُلْقِى « أن » مِن « تَقُومَ » . ومنه قولُه : ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ ﴾ ، و (إنّا دَمَّرْناهم) [النمل : ٥١] . على ما بيَّنا[٤] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) فى ص ، م : « بوصفهم » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٧/ ٥٩٤، ٥٩٥.

(٣) معانى القرآن للفراء ٣/ ١٥٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٢٦٣.

(٤) ينظر ما تقدم فى ١٨/ ٩٤ ، ٩٥ .

هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم ﴾ الآية : فلولا أن اللَّهَ بيَّنها ، ودلَّ عليها المؤمنين ، لتلهَّفَ عليها رجالٌ أن يكونوا يَعْلَمونها ، حتى (١ يَضِنُّوا بها ١) ، وقد دلَّكمُ اللَّهُ عليها ، وأعْلَمَكم إيَّاها فقال : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، قال : تلا قتادةُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ / تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : الحمدُ للَّهِ الذى بيَّنها (٣) . ٩٠/٢٨

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : يستُرْ عليكم ربُّكم ذنوبَكم إذا أنتم فَعَلتُم ذلك ، فيصفحُ عنكم ويعفو ، ﴿ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ . يقولُ : ويُدخِلْكم بساتينَ تجرى من تحتِ أشجارِها الأنهارُ ، ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ﴾ . [٢/٩٦٠ظ] يقولُ : ويُدْخِلْكم أيضًا مساكنَ طيبةً ، ﴿ فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ . يعنى : فى بساتينِ إقامةٍ ، لا ظَعْنَ عنها .

وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ . يقولُ : ذلك النَّجاءُ العظيمُ مِن نَكالِ الآخرةِ وأهوالِها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت

(١ - ١) فى الدر المنثور : « يطلبوها » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢١٤ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٩٠ عن معمر به .

طَآئِفَةٌ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ وَكَفَرَت فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

اختلَف أهلُ العربيةِ فيما نَعَتَت به قولُه : ﴿ وَأُخْرَىٰ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : معنى ذلك : وتجارةٍ أُخْرى . فعلى هذا القولِ يجبُ أن تكونَ « أخرى » فى موضعِ خفضٍ ، عطفًا به على قولِه : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ رفعًا على الابتداءِ .

وكان بعضُ نحويِّى الكوفةِ[1] يقولُ : هى فى موضعِ رفعٍ . أى : ولكم أُخْرى فى العاجلِ ، مع ثوابِ الآخرةِ ، ثم قال : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ مفسِّرًا لـ « الأُخرى » .

والصوابُ من القولِ فى ذلك عندى القولُ الثانى ، وهو أنَّه معنىٌّ به : ولكم أُخرى تُحبّونها . لأن قولَه : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ مبيِّنٌ عن أن قولَه : ﴿ وَأُخْرَىٰ ﴾ فى موضعِ رفعٍ ، ولو كان جاء ذلك خفضًا ، حَسُن أن يُجعَلَ قولُه : ﴿ وَأُخْرَىٰ ﴾ عطفًا على قولِه : ﴿ تِجَـٰرَةٍ ﴾ ، فيكونَ تأويلُ الكلامِ حينئذٍ لو قُرِئ ذلك خفضًا : وعلى خَلَّةٍ أخرى تُحِبُّونها . فمعنى الكلامِ إذًا إذْ[2] كان الأمرُ كما وصَفتُ : هل أدلُّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم ؟ تؤمنون باللَّهِ ورسولِه ، يَغْفِرْ لكم ذنوبَكم ، ويُدْخِلْكم جناتٍ تجرى من تحتِها الأنهارُ ، ولكم خَلةٌ أخرى سوى ذلك فى الدنيا تُحبُّونها ؛ نصرٌ من اللَّهِ لكم على أعدائِكم ، وفتحٌ قريبٌ يعجِّلُه لكم .

/﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : وبشِّرْ يا محمدُ ٩١/٢٨
المؤمنين بنصرِ اللَّهِ إيَّاهم على عدوِّهم ، وفتحٍ عاجلٍ لهم .

وقولُه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ . **اختلَفت القرأةُ فى** قراءةِ ذلك ؛ فقرَأته عامَّةُ قرَأةِ المدينةِ والبصرةِ : (كُونُوا أنْصَارًا للَّهِ) بتنوينِ « الأنصارِ »[3] . وقرَأ

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ٣/١٥٥ .
(٢) سقط من : م .
(٣) وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وأبى جعفر . ينظر النشر ٢/٢٨٩ .

ذلك عامةُ قرأةِ الكوفةِ بإضافةِ «الأنصارِ» إلى ﴿ ٱللَّهِ ﴾[١] .

والصوابُ من القولِ فى ذلك[٢] أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيَّتِهما قرأ القارىءُ فمصيبٌ . ومعنى الكلامِ : يأيها الذين صدَّقوا اللَّهَ ورسولَه ، كونوا أنصارَ اللَّهِ كما قال عيسى ابنُ مريمَ للحواريين : ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ . يعنى : مَن أنصارِى منكم إلى نُصْرةِ اللَّهِ لى ؟

وكان قتادةُ يقولُ فى ذلك ما **حدَّثنى** به بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ . قال : قد كانت للَّهِ أنصارٌ من هذه الأمةِ ، تجاهدُ على كتابِه وحقِّه ، وذُكِر لنا أنه بايعَه ليلةَ العقبةِ اثنان وسبعون رجلًا من الأنصارِ ، ذُكِر لنا أن بعضَهم قال : هل تدرون علامَ تُبايعون هذا الرجلَ ؟ إنَّكم تبايعون على محاربةِ العربِ كلِّها أو يُسلِموا . ذُكر لنا أن رجلًا قال : يا نبىَّ اللَّهِ ، اشتَرِطْ لربِّك ولنفسِك ما شِئْتَ . قال : « أشْتَرِطُ لربِّى أن تعبُدوه ولا تُشرِكوا به شيئًا ، وأشْتَرِطُ لنفسِى أن تمنَعونى مما منَعتم منه أنفسَكم وأبناءَكم » . قالوا : فإذا فعَلنا ذلك فما لنا يا نبىَّ اللَّهِ ؟ قال : « لكم النصرُ فى الدنيا ، والجنةُ فى الآخرةِ » . ففعَلوا ، ففعَل اللَّهُ[٣] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، قال : تلا قتادةُ : ﴿ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ . قال : قد كان ذلك

---

(١) وهى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف . النشر ٢/٢٨٩ .

(٢) بعده فى م : « عندى » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

بحمدِ اللَّهِ ؛ جاءه سبعون رجلًا ، فبايعوه عندَ العقبةِ ، فنصَروه وآوَوْه ، حتى أظهَرَ اللَّهُ دينَه . قالوا : ولم يُسَمَّ حيٌّ من السماءِ اسمًا لم يكُنْ لهم قبلَ ذلك غيرَهم[١] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : إن الحواريين كلَّهم من قريشٍ ؛ أبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعليٌّ ، وحمزةُ ، وجعفرٌ ، وأبو عُبيدةَ ، وعثمانُ ابنُ مظعونٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ ، ، وعثمانُ ، وطلحةُ ابنُ عُبيدِ اللَّهِ ، والزبيرُ بنُ العوّامِ[٢] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ . قال : من يَتْبَعُنى إلى اللَّهِ ؟[٣]

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا مِهرانُ ، عن سفيانَ ، عن ميسرةَ ، عن المِنهالِ بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، قال : سُئل ابنُ عباسٍ عن الحواريِّين ، فقال : سُمُّوا لبياضِ ثيابِهم ، كانوا صَيَّادى السمكِ[٤] .

حُدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ : ثنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ [٢/٩٦١و] يقولُ فى قولِه :/ ﴿ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ : هم الغسَّالون بالنَّبطيةِ ، يقالُ ٩٢/٢٨ للغسَّالِ : حوارِىٌّ[٥] .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٩٠، وابن عبد البر فى الاستيعاب ١٤/١ من طريق معمر به .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٩٠/٢ عن معمر به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٦٥٨، ومن طريقه الفريابى - كما فى تغليق التعليق ٣٤٠/٤- وابن أبى حاتم ٦٥٩/٢ (٣٥٦٥) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١٤/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) تقدم تخريجه فى ٥/ ٤٤٢.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٩/٢ (٣٥٦٩) من طريق جويبر ، عن الضحاك بمعناه .

وقد تقدَّم بيانُنا فى معنى الحوارِىِّ بشواهدِه واختلافِ المُخْتلِفين فيه قبلُ فيما مضَى ، فأغنَى عن إعادتِه[١] .

وقولُه : ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : قالوا : نحن أنصارُ اللَّهِ على ما بعَث به أنبياءَه من الحقِّ .

وقولُه : ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : فآمَنت طائفةٌ من بنى إسرائيلَ بعيسى ، وكفَرت طائفةٌ منهم به .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى أبو السائبِ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن المِنهالِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما أراد اللَّهُ أن يرفعَ عيسى إلى السماءِ ، خرَج إلى أصحابِه - وهم فى بيتٍ اثْنا عشرَ رجلًا - من عينٍ فى البيتِ ورأسُه يَقْطُرُ ماءً . قال : فقال : إن مِنكم من سيَكْفُرُ بى اثْنَتَى عشْرةَ مرَّةً بعدَ أن آمَن بى . قال : ثم قال : أيُّكم يُلْقَى عليه شَبَهِى فيُقْتَلَ مكانى ، ويكونَ معى فى درَجتى ؟ قال : فقام شابٌّ من أحدثِهم سِنًّا ، قال : فقال : أنا . فقال له : اجْلِسْ . ثم أعاد عليهم ، فقام الشابُّ ، فقال : أنا . قال : نعم أنت ذاك . قال : فأُلقِىَ عليه شَبَهُ عيسى ، ورُفِع عيسى مِن رَوْزَنَةٍ[٢] فى البيتِ إلى السماءِ . قال : وجاء الطَّلَبُ مِن اليهودِ ، وأخَذوا شَبَهَه ، فقتَلوه وصَلَبوه ، وكفَر به بعضُهم اثْنَتَى عشْرةَ مرَّةً بعدَ أن آمَن به ، فتفرَّقوا ثلاثَ فرَقٍ ؛ فقالت فرقةٌ : كان اللَّهُ فينا ما شاء ، ثم صعِد إلى السماءِ . وهؤلاء اليعقوبيةُ ،

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٥/ ٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) الروزنة : الكُوَّة . اللسان (رزن) .

وقالت فرقةٌ : كان فينا ابنُ اللَّهِ ما شاء اللَّهُ ، ثم رفَعه إليه . وهؤلاء النُّسْطُورية ، وقالت فرقةٌ : كان فينا عبدُ اللَّهِ ورسولُه ما شاء اللَّهُ ، ثم رفَعَه اللَّهُ إليه . وهؤلاء المسلمون ، فتظاهَرت الطائفتان الكافِرتان على المسلمةِ فقَتَلوها ، فلم يَزَلِ الإسلامُ طامسًا حتى بعَث اللَّهُ محمدًا ﷺ . ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ . يعنى الطائفةَ التى كفَرت من بنى إسرائيلَ فى زمنِ عيسى ، والطائفةَ التى آمَنت فى زمنِ عيسى ، ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾ فى إظهارِ محمدٍ دينَهم على دينِ الكفارِ ، فأصبَحوا ظاهرين[1] .

وقولُه : ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴾ . يقولُ : فقوَّينا الذين آمَنوا من الطائفتين من بنى إسرائيلَ على عدوِّهم ، الذين كفَروا منهم بمحمدٍ ﷺ ؛ لتصديقِه إيَّاهم أن عيسى عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، وتكذيبِه مَن قال : هو إلهٌ . ومَن قال : هو ابنُ اللَّهِ . تعالى ذِكرُه . ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾ : فأصبَحت الطائفةُ المؤمنون ظاهرين على عدوِّهم الكافرين مِنهم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الهلالىُّ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴾ . قال : قوَّيْنا .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن شِبَاكٍ[2] ، عن إبراهيمَ :

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ١١/٥٤٦، والنسائى فى الكبرى (١١٥٩١)، وابن أبى حاتم ٤/١١١٠ (٦٢٣٣) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٧/٤٧٥ من طريق أبى معاوية به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٣٨ إلى عبد بن حميد وابن مردويه .

(٢) فى م : « سماك » . وتقدم فى ٩/٦٠٩ ، ٦١٠ ، ١١/٥٩٩.

٩٣/٢٨ ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ /بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ . قال : لما بعَث اللَّهُ محمدًا ، ونزَل تصديقُ مَن آمَن بعيسى ، أصبَحت حجةُ مَن آمَن به ظاهرةً .

قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن شِباكٍ[1] ، عن إبراهيمَ فى قولِه : ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾ . قال : أُيِّدوا بمحمدٍ ﷺ ، فصدَّقهم وأخبَر بحُجَّتِهم .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هشيمٌ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ فى قولِه : ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾ . قال : أصبَحت حجةُ مَن آمَن بعيسى ظاهرةً بتصديقِ محمدٍ ﷺ كلمةَ اللَّهِ ورُوحَه[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾ : مَن آمَن مع عيسى ﷺ[3] .

آخرُ تفسيرِ سورةِ الصفِّ

---

(١) فى م : « سماك » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٦٥٨ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢١٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .